مقدمة

مصر ومعنى جديد للقوة الدولية

المعنى السائد فى تعريف القوة بين الدول والمنتشر فى أدبيات الدراسات الإستراتيجية والعلاقات الدولية والعلوم السياسية هو "أن هناك فاعلين دوليين، أحدهما يريد من الآخر أن يفعل سلوكا دوليا، لا يريد فعله لما يسببه ذلك له من ضرر واضح، فإذا قام هذا الفاعل الآخر فى تغيير سلوكه بالاستجابة للفاعل الأول، نخلص بان الفاعل الأول لديه نفوذ وقوة على الفاعل الآخر".

ولكن فى ضوء انتشار مباراة المساومة القهرية وتعدد طبيعة القوى التى لها تأثير على سلوك الدول، حيث وسع التأثير على سلوك الدولة من جانب الشركات الدولية والأفراد والمؤسسات الاقليميه والجماعات العابرة للقارات، وانتشار تشابك العوامل السياسية مع العوامل الاقتصادية، أضحى هذا التعريف قاصرا بسب اقتصاره على التفاعل بين الدول وفقط. الأمر الذي طرح على المفكرين الاستراتيجيين ضرورة خلق مفهوم جديد يأخذ في الاعتبار الطبيعة المتغيرة للقوه الدولية، التى انفصلت عن الطبيعة المؤسسية أو الوظيفية لصانع القرار الاستراتيجي. ونقترح تعريفا يسير كالتالي:

١- يكون الفاعل الأول لدية قوة على الفاعل الآخر، عندما تكون هذه القوة متناسبة مع طاقة وقدرة الفاعل الاخر على الفعل،

٢- وأن يكون من شأن السلوك أن يعظم من قدرات الفاعل الأول بشكل أكثر بنائية عن الفاعل الأخر،

٣- أن لا يتورع الفاعل الأول فى سياق التفاعل مع الفاعل الآخر أن يلوح بالضغط أو العقوبات لتحقيق انسجام موقفى للمصالح،

٤- أن يضمن الفاعل الأول أن يحصل الفاعل الآخر على قدر من المصالح الخاصة له أثناء ممارسة الضغط أو التهديد،

٥- أن يعمل الفاعل الأول أن لا يكون ندم الفاعل الآخر فى الاستجابة لأهداف ورغبات الفاعل الأول كبيرًا؛ مما قد يدفع الآخر فى العمل على عكس سلوكه التوافقى، وانتهاج مواقف تنافسية أو تناقضية.

هذا التعريف الجديد للقوة الدولية يتسم بأربع سمات أساسية: أولاً، أنه قائم على التفاوض الرسمى أو غير الرسمى أو كليهما المستمر بين الفاعلين، ثانيا، يقوم بتوسيع مفهوم المصالح بشكل يمكن معه التعامل مع التفاعلات المصلحية المختلفة على مستويات المختلفة للتفاعل الداخلى والخارجى فى مجال الاعمال أو الاقتصاد او جانب العسكرى والاستراتيجى والخارجى، ثالثا، يأخذ فى الاعتبار التغير المستمر فى التفاعل بين البيئتين الداخلية والخارجية بالأمر الذى يساعد على انبثاق بيئة دولية ثالثة تعبر عن اختراق القوى العولمية للمستويات المحلية داخل كل وحدة

قومية، رابعا، يأخذ فى الاعتبار مدى شبكية العلاقات وسيولتها وتعقيدها بين القوى المختلفة صانعة للقرار؛ الأمر الذى يخلق بعدًا جديدًا يتمثل فى القدرة هيكل صنع القرار على التكيف تحت ضغط الظروف المتغيرة، وفى ضوء انتشار المعلومات المتضاربة وسرعة تحول المعلومات الصادقة فى المواقف إلى إما زائفة أو أن تتدنى قيمتها فى التأثير على الأحداث. تختلف القوى الإقليمية فى الشرق الاوسط الكبير فى مدى قدرتها على فهم واستيعاب هذا المفهوم الجديد للقوة الدولية، وخاصة إنه يتطلب ثلاثة محددات أساسية: أولا، قدرة مؤسسية عالية فى التعامل مع المعلومات والتصورات والتحقق منها وبناء نماذج لتعويض الغائب منها، ثانيا، قدرة اتصالية عالية تسمح باستيعاب المعلومات وقياس جدواها المتغير وخلق نماذج احتمالية للتفاعل، ثالثا، قدرة وظيفية عالية لخلق مسارات موازية وتبادلية وتقاطعية فى الوقت ذاته لتصميم سياسات فعالة. ولا يوجد فى الشرق الأوسط على مستوى الدول إلا أربع دول فقط، لها قدرات أصيلة فى هذا المجال، وهى: مصر وتركيا وإسرائيل وايران، فأن الصراع بينهما يكون حادًا.

تتجه مصر إلى بناء قوتها الدولية اعتمادا على أربع معادلات دولية: المعادلة الأولى، إن قوة الدولة التنظيمية هى المدخل للقوة الإقليمية، المعادلة الثانية، أن القوة الإقليمية تضمن نشاطًا دوليًا وداخليًا من أجل تعبئة الموارد والتنسيق الإقليمى، المعادلة الثالثة، أن تعبئة الموارد والتنسيق الإقليمى تستدعى إقامة شراكات استراتيجيه فى مجالات المال والأعمال والاستثمار ومجالات العنف الاستراتيجى والمعلومات، المعادلة الرابعة، أن المسارات المختلفة لهذه الشراكات لا تعمل كلها بالسرعة نفسها، ولا تتطلب ذات المتطلبات الأولية ذاتها، ولا يتم تعديل المسار إلا وفق ظروف نابعة من داخل المسار. وهذه ليست معادلات تراكمية بمعنى أنها سياق خطى متوالى؛ حيث تبدأ من المستوى الأول وتنتهى بالرابع. فقد اعتدنا فى التفكير الاستراتيجى الناصرى على هذا النمط من التفكير. ولكن المعادلات هنا تتسم بصفة غير خطية وشبكية، بمعنى أن التفكير الاستراتيجي الجديد يقوم على اعتبار أن هذه المعادلات الأربعة تتسم بعدم استقرار، وتعدد للقيم الرئيسية في كل معادلة مما يجعلها معادلات ذات مجاهيل عدة، الأمر الذى يجعل صانع القرار الاستراتيجى يعتمد على منطق التوجة الرئيسى للناتج النهائى للمعادلة. وآلية حساب التوجه الرئيسى تبنى على أساسيين، هما: أولا، أن الناتج النهائى لا بد وأن يعطى محصلة إيجابية للاستقرار العام، ثانيا، أن هذا الناتج لابد وأن يولد قدرة أعلى على المد بالموارد الدولية. ويحسب الاستقرار العام بالقدرة على التكيف الانتقائى، بينما المد بالموارد الدولية يحسب وفق النزوع الداخلى المحلى لاستيعاب واستخدام هذه الموارد. فالنظام الحسابى المصرى الاستراتيجى يوفر لنفسه الحماية من تقلبات القيم غير المحددة أو المجهولة، اعتمادًا على صلابة ومرونة التوجه الرئيسى. بعبارة أخرى، فإن منطق الاختيار الاستراتيجى على المستوى الكلى هو الحاكم لكافة المتغيرات المعلومة والمجهولة وغير المؤكدة أو غيرها على المستوى الجزئى. وبالتالى يمكن القول: بأن منطق الاختيار الاستراتيجى قد يتطلب فى بعض الأحيان تغيرات هيكلية فى هياكل الإنتاج والاستهلاك

وصناعة القرار تعزز وتنظم من نمط التفاعل المتغيرات على المستوى الجزئى. بعبارة ثالثة، إن هذا المنطق يتمثل فى قدرات مؤسسية استراتيجيه معينة لديها ممكنات وقدرات على ضبط أو تعويض أو شطب أو إعادة صياغة المتغيرات على المستوى الجزئى. بعبارة أكثر شمولاً، فإن النظام الحسابى للقوة المصرية هو نظام ديناميكى يهدف إلى الحفاظ على مستوى التفاعل الكلى في سياق النظام الدولى. وهذا الوصف التحليلى للمنهجية المصرية يتطلب منا أن نفهم منطق حاكمية السياق؛ حيث أبدعه عمليًا الرئيس مبارك للتفكير الاستراتيجى المصرى. فالرئيس عبد الناصر كان مهتما بالمتغيرات الجزئية باعتبارها قادرة على توليد المتغيرات الكلية العالمية، ولكنه هزم فى ١٩٦٧ ليقوم الدليل الواضح على قصور هذا المنهج. أما الرئيس السادات فاعتمد طريق المتغيرات الكلية الخطية، باعتبارها الطريق للسيطرة على الاوضاع الداخلية، ولكنه تم اغتياله بين جنوده ليقوم الدليل الواضح على قصور هذا الطريق. أما الرئيس مبارك فتعلم من الخبرات السابقة، وخط منهجًا سياقيًا لتفاعل المتغيرات الكلية العالمية مع المتغيرات الجزئية الداخلية. وهذا وفَّر للرئيس مبارك تحقيق أربع نتائج كبيرة: القضاء على الإرهاب المحلى، الحفاظ على السلام المصرى الإسرائيلى، إعادة الهيكلة الاقتصادية ناحية السوق الدولى، وأخيراً، المرونة تحت ضغط الأزمات الإقليمية.. الآن يصبو الرئيس مبارك تحقيق ثلاث نتائج أخرى: بناء مؤسسات وطنية لتحقيق الامتياز الدولى، وبناء هيكل مؤسسى للاستراتيجية القومية، بناء نظام جديد من النخبة قادرة على السيطرة. وهذه النتائج سوف تصب بشكل واضح فى تطوير النظام السياسى والاستراتيجى ليضحى ذا ليونة فائقة فى المستقبل.